



# الموسوعة النفسانية

تأسيسها هو أساس العمل



إعدادات: مؤسسة العلوم النفسية العربية

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

موسوعة الأعلام في العلوم النفسية: حرف الألف

# موسوعة الأعلام في العلوم النفسية

حرف الألف

عبد الرحمن إبراهيم

## الفهرس

4	كارل أبراهام
6	ابن باجة
15	ابن خلدون
33	ابن سينا
86	أبيقور
97	ألفريد أدلر
114	ديفيد إيراسموس
120	أرسطو
135	أفلاطون
147	ألكوين
149	جانفوك إليس
152	جيمس إنجل
156	اندراس انجيل
160	أوغسطين
166	غوردن أولبورت
174	فلويد ألبورت
178	هيرمان إيبينغهاوس
181	ايريكا أريكسون

## كارل أبراهام

كارل أبراهام Karl Abraham (1877-1925) من كبار مؤسسي حركة التحليل النفسي، وكان أول من أسس جمعية فرعية للتحليل النفسي و مركزها برلين، لتكون العاصمة الثانية لحركة التحليل النفسي بعد فيينا مقر سيغ蒙德 فرويد ..

وأبراهام يهودي ألماني من أسرة متوسطة، بقي يعاني طوال حياته من عداء الألمان لليهود، درس الطب في جامعة فرايبورغ، وحصل على الدكتوراه منها، وعمل مع بلويلر وزامله في مستشفى برجولزلي للأمراض العقلية وهي مصحة نفسية ملحقة بجامعة زيورخ، وتعرف على كارل يونغ، وفيها التقى بماكس إيتنتون الذي أسهم معه في إنشاء جمعية برلين للتحليل النفسي، وقرأ فرويد واستغرقته كتاباته، وبدأ يرأسه، والتقى به لأول مرة سنة 1907.

ومن إسهاماته تفريقه في المرحلة الفموية بين الرغبة في المص والرغبة في العض، وفي المرحلة الشرجية بين الرغبة في الإخراج والرغبة في الإمساك، وتفريقه بين وظيفة القضيب في التبول، ووظيفته في القذف المنوي، وهذه التفرقة الأخيرة هي التي بنى عليها فرويد تفرقته بين الطور القضيبى والطور التناسلي. كان أول بحث لأبراهام ينشره في مجال التحليل النفسي هو (الحلم والأسطورة - 1909)، وهو من البحوث التي تنتمي إلى التحليل التطبيقي. ومن هذا النوع أيضاً بحثه عن (أخانتون) الذي نشره سنة 1912، وحلل مبادئ أخانتون، وقد تابع فيه طريقة فرويد في كتابه عن ليوناردو دافنشي ونشره سنة 1909. ولم يشترك

من كبار مؤسسي حركة التحليل النفسي، وكان أول من أسس جمعية فرعية للتحليل النفسي و مركزها برلين، لتكون العاصمة الثانية لحركة التحليل النفسي بعد فيينا

من إسهاماته تفريقه في المرحلة الفموية بين الرغبة في المص والرغبة في العض، وفي المرحلة الشرجية بين الرغبة في الإخراج والرغبة في الإمساك، وتفريقه بين وظيفة القضيب في التبول، ووظيفته في القذف المنوي

أبراهام في الجدل الذي احتدم بين أتباع فرويد في حياته حول انحرافات البعض عن النظرية الأساسية للتحليل النفسي إلا يبحث واحد في نقد كارل يونغ (1914)، فقد كان له رأي خاص في يونغ منذ البداية، وكثيراً ما حذّر منه فرويد، فلما استقال يونغ من دولية التحليل النفسي هنا فرويد، وكافأه فرويد بأن عينه رئيساً مؤقتاً للدولية، ثم سكرتيراً لها، ثم رئيساً عام 1924، وأعيد انتخابه عام 1925. وتلاميذ أبراهام كثيرون، ومنهم النوابغ فيليكس بيم، وهيلين دويتش، وجيمس جلوفر، وميلاني كلين، وساندور رادو، وتيودور رايك، وإرنست سيمل، وأليكس ستارشي، وإدوارد غلوفر.

نشر أبراهام نحو المائة بحث، وأربعة كتب... ومؤلفاته تعالج موضوعات هامة، كالعصاب، وتأثير الجنس والعلاقات الأسرية في الإصابة به، وسيكولوجية العُصاب وخاصة النوع الوسواسي، والهستيريا، وازدواج الجنسية وعلاقته بتكوين الصفات الخُلقية، والفيتيشية، والظروف الكليينيكية للقذف المبكر وللعجز الجنسي، والاكنتاب الهوسي، والأحلام. ولعل أهم كتاباته (دراسة قصيرة في نمو الليبيدو - 1924) (وتكوين الخلق على المستوى التناسلي من نمو الليبيدو - 1925).

كان أول بحث لأبراهام ينشره في مجال التحليل النفسي هو (العلم والأسطورة - 1909)، وهو من البحوث التي تنتمي إلى التحليل التطبيقي

نشر أبراهام نحو المائة بحث، وأربعة كتب... ومؤلفاته تعالج موضوعات هامة، كالعصاب، وتأثير الجنس والعلاقات الأسرية في الإصابة به، وسيكولوجية العُصاب

## ابن باجة

ابن باجة (Ibn Bajja (Aven Pace) (..... - 533هـ/.... - 1138 م) أبو بكر محمد بن يحيى التَّجِيبِي السَّرْقُسْطِي، الملقب بابن باجة (الباجه بتشديد الجيم هي الفضة بلغة الفرنجة الأندلسيين)، ولعل أسرته كانت تشتغل بالصياغة، فعُرف بابن الصائع، ولد في سرقسطه Zaragoza بإسبانيا الإسلامية..

يعتبر ابن باجة من الفلاسفة العرب الأعلام الذين ظهوروا في الأندلس في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، ألم بعلوم الثقافة الإسلامية في عصره، ويعلم اليونان، واشتهر بتضلعه في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والموسيقى ونظم الشعر، وكان محل تقدير العلماء والمؤرخين. فقد اعترف بفضل ابن القفطي، وابن أبي أصيبعة، وابن خلدون، والمقري، ولسان الدين الخطيب، وغيرهم وقالوا عنه إنه علامة وقته ومن أكابر فلاسفة الإسلام. ولقد بلغ الغاية في بعد الصيت والشهرة والذكر الواسع العريض ونال إعجاب ابن رشد وابن طفيل. جاء في كتاب (حي بن يقظان) عند التعرض لأهل النظر (ان ابن باجة كان ثاقب الذهن صحيح النظر صادق الرؤية...).

وضع ابن باجة كثيرا من المؤلفات، في أرسطو وشروحه، والمنطق، والطب، والهندسة، والنبات والأدوية المفردة، والفلك، والنفس، والعقل. ولسوء الحظ ضاع معظمها وبقي منها رسائل وصفحات في ترجمات لاتينية وعبرية. وله كتاب عثر عليه أخيراً في مكتبة برلين. قال عنه د. عمر فروخ: (غير أن الدهر لم يشأ أن يقسو على ابن باجة كثيراً فإنه قد حفظ لنا مخطوطة عظيمة الفائدة في مكتبة برلين العامة تقع في 440 صفحة).

ابن باجة من الفلاسفة العرب الأعلام الذين ظهوروا في الأندلس في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، ألم بعلوم الثقافة الإسلامية في عصره، ويعلم اليونان، واشتهر بتضلعه في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والموسيقى ونظم الشعر

وهذا المخطوط قد غير أحكام العلماء على ابن باجة، وأزال الغموض عن بعض النقاط وألقى نورا على تراثه وآرائه.

عمل أكثر من عقدين من الزمن كاتباً ووزيراً لأبي ابراهيم بن تيفلويت المسرفي صهر علي بن يوسف بن تاشفين، وبعد وفاة ابن تيفلويت عام 510هـ / 1116م، وقيل بعد سقوط سرقسطه Zaragoza بيد ألفونسو الاول ملك أرغون Aragon عام 512هـ / 1118م، غادر ابن باجة الى جنوب الاندلس، فسكن المريّة وقرنطة ثم رحل الى فاس، وفيها اتهم بالاحاد ومات مسموماً.

كان بينه وبين بعض الاندلسيين خصومة شديدة، فقالوا إنه: (قذى في عين الدين وعذاب لأهل الهدى). ومن هؤلاء الفتح بن محمد بن خاقان (528هـ/1134م) الذي حمل على ابن باجة بعنف واتهمه بالاحاد في كتابه "قلائد العقيان" وجاء في هذا كتاب (وقد اشتهر ابن باجة بين أهل عصره بهوسه وجهوده واشتغاله بسفاسف الأمور، ولم يشتغل بغير الرياضيات وعلم النجوم، واحنقر كتاب الله الحكيم وأعرض عنه. وكان يقول إن الدهر في تغير مستمر وأن لا شيء يدوم على حال، وإن الإنسان كبعض النبات والحيوان، وإن الموت نهاية كل شيء...). هذه الأقوال التي نسبت إلى (ابن باجة) دفعت بعض منافسيه ممن أعماهم الحسد والجهل إلى اتهامه بالزندقة والسعي الى قتله والتخلص منه.. ومن خصومه أيضا ابن البليوسي تلميذ الفتح بن محمد بن خاقان وكثير من كتاب الدولة والاطباء ومنهم الطبيب المشهور أبا العلاء ابن زهر (557هـ/1162م) الذي قيل أنه احتال على ابن باجة حتى وضع له السم في أكلة باذنجان(533هـ/1138م).

تخصص في علمين اثنين، هما: علم النفس والعلم الطبيعي.

و رأى أن الإنسان والحيوان غير الناطق يتشاركان، في النفس الغذائية والمولدة والنامية، وفي الإحساس والتخيل والتذكر، غير أن ميزة الإنسان عن كل المخلوقات والكائنات والجملادات هي القوة الفكرية، وهي التي تصنع منه إنساناً

وضع ابن باجة كثيراً من المؤلفات، فهي أرسطو وشروحه، والمنطق، والطب، والهندسة، والنبات والأدوية المفردة، والفلك، والنفس، والعقل

بعد سقوط سرقسطه ،  
غادر ابن باجة الى  
جنوب الاندلس،  
فسكن المريّة  
وقرنطة ثم رحل الى  
فاس، وفيها اتهم  
بالاحاد ومات  
مسموماً

حياته لم تكن هادئة  
سعيدة، بل كانت حافلة  
بالقلق والاضراب، فلم  
يجد في عصره أنيساً  
يشاطره آراءه (وكان  
يرى نفسه أنه في  
وحدة عقلية...)

وتوجب له صفة النطق. ولابن باجة في علم النفس رسائل "في البحث عن النفس النزوعية" و"في النفس".

ابن باجة فيلسوف، بنى فلسفته على الرياضيات والطبيعات، وهذا ما أراد الفيلسوف الألماني كانت أن يسير عليه في فلسفته. ومن هنا يرى بعض الباحثين أن (ابن باجة خلع عن مجموع الفلسفة الإسلامية سيطرة الجدل، ثم خلع عليه لباس العلم الصحيح وسيره في طريق جديد...). وكذلك فصل الدين والفلسفة في البحث، فهو بذلك أول فيلسوف في العصور الوسطى نحا هذا النحو. ويقول د. فروخ: (... لما وقف ابن باجة - كما وقف من سبقه من فلاسفة الإسلام - أمام مشكلة الخلاف بين الشريعة والحكمة، نتجت له عقريته أمرا مهما جدا. ذلك بأنه ليس من الضروري أن يهتم بأمر لم يستطع أحد من قبله أن يبحث فيه. من أجل ذلك لم يتعرض ابن باجة للدين بل انصرف بكليته إلى الناحية العقلية...).

وحياته لم تكن هادئة سعيدة، بل كانت حافلة بالقلق والاضطراب، فلم يجد في عصره أنيسا يشاطره آراءه (وكان يرى نفسه أنه في وحدة عقلية...)

### فلسفة ابن باجة

يعتبر ابن باجة أول الواقفين في الأندلس والمغرب على فلسفة المشائين فشرح قضاياها، ومن أشهر تلامذة ابن باجة أبو الحسن علي بن الإمام وابن رشد الذي ذكر في كتابه "النفس" بعضا من آراء ابن باجة، واعترف بفضله في حقل الفلسفة.

عمد ابن باجة إلى العودة بالفلسفة على أصولها الأرسطية كما هي في كتب أرسطو، مبتعدا عن أفكار العرفان والأفلاطونية المحدثة. وهو بذلك أحد أفراد التيار التجديدي الأندلسي الذي حاول فصل الأفكار العرفانية التي اختلطت كثيرا بالفكر الإسلامي، والذي بدأ بمشروع ابن حزم الذي عمد إلى تأسيس منهج العودة إلى الأصول واستبعاد القياس في الفقه والذي استأنفه ابن رشد أيضا بعد ابن باجة، حيث عمد ابن رشد إلى فصل نظام البيان الفقهي عن نظام البرهان الفلسفي بمصطلح آخر فصل الدين عن الفلسفة كأنظمة استنتاجية وربطها عن

كل حي يشارك  
الجمادات في أمور،  
وكل إنسان يشارك  
الحيوان في أمور،  
لكن إنسان يتميز  
عن الحيوان بخير  
الناطق والجماد  
والنبات بالقوة  
الفكرية، ولا يكون  
إنسانا إلا بها

كل إنسان له في  
مخيلته صورة حسية،  
ونفسية عن نفسه:  
الصورة



طريق الغايات والأهداف.

قال ابن باجة في الإنسان: كل حي يشارك الجمادات في أمور، وكل إنسان يشارك الحيوان في أمور، لكن لإنسان يتميز عن الحيوان غير الناطق والجماد والنبات بالقوة الفكرية، ولا يكون إنساناً إلا بها.

وقسم ابن باجة منازل الناس أو "المراتب" إلى:

- المرتبة الجمهورية: وهؤلاء لا ينظرون إلا للمعقول.
- المرتبة النظرية: وهؤلاء ينظرون إلى الموضوعات أولاً، وإلى المعقول ثانياً ولأجل الموضوعات.
- مرتبة السعداء: وهم الذين يرون الشيء بنفسه.

ويمكن أن نطلق على فلسفة ابن باجة اسم علم الإنسان فقد كان جل ما تناوله فيها يبحث في ميدان الإنسان، والفكرة الأساسية التي أضافها إلى التراث الفلسفي هي ما يتصل باتحاد العقل الفعال بالإنسان.

### الأفعال والأنفعالات الإنسانية عند ابن باجة

كل ما يفعله الإنسان باختياره هو فعل إنساني، وكل فعل حرّ هو فعل يتم له اختياراً وبالإرادة. وأما الأحاسيس وما يتعلق بها فهي أفعال لا اختيار له فيها كما عند الحيوان.

والانفعالات، كالتهيّب والغضب والخوف، والسلوك البهيمي هو ما يتحرك في الحيوان من انفعالات بتأثير النفس البهيمية. والسلوك الإنساني الذي ليس انفعالاً هو الصادر عن تفكير وروية، وسلوك الإنسان فيه البهيمي والإنساني.

### مراحل النمو الإنساني عند ابن باجة

يمر الإنسان في نموه حالات يكون فيها أشبه بالنبات والحيوان. وتحركه خلال نموه ثلاث قوى: القوة الغذائية النزوعية، والقوة النموية الحسّية، وقوة التفكير. في المرحلة الجنينية: يحيى حياة نمائية اعتدائية كالنبات، وبعد الميلاد تكون

الحسية لا يهتم لها إلا الخسيس، وكما ارتقى الإنسان كان اهتمامه بصورته النفسية وبتكوينه النفسي وليس بمكوناته الجسمية

إن المحرك في الإنسان هو الفكر والخيال، والمتحرك فيه هو النزوع، ويعبر عن النزوع بالذات من ذلك قد تختص بالجسم، وهي شغواته البدن، أو تختص بالنفس وهي الفضائل

له حياة حسّية،

وفي مرحلة اليفاع: حيوان حسي ينفعل عن النفس البهيمية، ثم يكون له بالتفكير حياة معرفية عاقلة باستمرار نموه إلى الرشد.

والإنسان قد يتصف بصفة حيوانية كالمكر مثلاً، إلا أن الاختلاف بين الإنسان والحيوان في ذلك، أن المكر في الثعالب مثلاً صفة حيوانية نوعية، ولكنه إن وُجِدَ في الإنسان كان بواحد بعينه، أي يكون به بصفة شخصية وليس بصفة نوعية.

### الصور النفسية والجسدية

وكل إنسان له في مخيلته صورة حسّية، ونفسية عن نفسه: الصورة الحسية لا يهتم لها إلا الخسيس، وكلما ارتقى الإنسان كان اهتمامه بصورته النفسية ويتكوّنه النفسي وليس بمكوناته الجسمية.

وقد يتحدث ابن باجة عن النفس باعتبارها روحاً، ويقول إن النفس والروح اثنان بالقول وواحد بالموضوع. والمعاني الموجودة في النفس هي التي يوجد بها الحس المشترك والتخيل والتذكر.

الصور العقلية والحسية: يصف ابن باجة الصورة المتخيلة لجبل أُحُد مثلاً عند مَنْ لم يره بأنها صورة عقلية، في حين أن صورته عند من يراه بعينه هي صورة حسية، والأولى تتأثر بالقوة المتخيلة والتذكر، والثانية قوامها حسي، والأخيرة يطلق عليها اسم الصنم، لأنها جسمية، ويقول إن الحس المشترك فيه صنم المحسوس. ثم تأتي بعد هذه الصورة التي في القوة الخيالية وهي أكثر شرفاً من الأولى وأقل جسمانية، ولها تنسب الفضائل النفسانية. ثم تأتي بعدهما في المرتبة الصورة في قوة الذاكرة.

### الذات وأنواعها

يقول ابن باجة إن المحرك في الإنسان هو الفكر والخيال، والمتحرك فيه هو النزوع، ويعبر عن النزوع بالنفس. والذات عن ذلك قد تختص بالجسم، وهي

الذات الطبيعية  
كالالتذات باللمس أو  
بأنواع الأكل أو  
النكاح، وهي (زمانية  
مكانية) أو لذات  
عقلية، كالتذات  
بالمعارف  
وبالتخيل، (خبر  
موقوتة بزمان أو  
مكان).

شهوَات البدن، أو تختص بالنفس وهي الفضائل. والذات طبيعية كالاتذاد باللمس أو بأنواع الأكل أو النكاح، وهي (زمانية مكانية) أو لذات عقلية، كالاتذاد بالمعارف وبالتخيّل، (غير موقوتة بزمان أو مكان).

### المعاني العقلية

يقول ابن باجة إن المعاني العقلية كليات مجردة عن المادة يلحقها الذهن كما يلحق الحس صور المحسوسات، حتى يكون الذهن كالقوة الحساسة للصور، أو كالقوة الناطقة للمتخيلات.

والناس من حيث المعاني أو صور المعقولات إما جمهور، أي مقامهم فيها مقام الطبيعيين، وإما نظار، أي لهم نظر في كل طبيعي، والمعقول عندهم يأتي أولاً قبل الموضوع، ثم هناك السعداء الذين يرون الشيء في نفسه، وهم أعلى مراتب الإنسان.

كان ابن باجة البادئ في إطلاق خطاب فلسفي جديد متحرر من علم الكلام وإشكاليته، ومن هاجس التوفيق والتلفيق الذي استولى على فلاسفة المشرق وفلسفة ابن باجة قيمتان أساسيتان:

أولاهما: أنه بنى الفلسفة العقلية على أسس الرياضيات والطبيعات فزغ عن الفلسفة الإسلامية سيطرة الجدل، وخلع عليها لباس العلم. وثانيتهما: أنه أول فيلسوف في الإسلام فصل بين الدين والفلسفة في البحث، وانصرف إلى العقل ولهذا اتهم بالإلحاد والخروج عن تعاليم الدين.

وقد لام أبا حامد الغزالي لميله إلى التصوف. وقال: إن الإنسان يستطيع بلوغ السعادة عن طريق العلم والتفكير لا بإماتة الحواس وتجسيم الخيال، كما يفعل المتصوفون، وقد رأى أن الغزالي خدع نفسه، وخدع الناس حين قال في كتابه «المنقذ من الضلال» إنه بالخولة ينكشف العالم للإنسان.

وتأثر ابن باجة بتعاليم الفارابي وآرائه في «المدينة الفاضلة»، وحذا حذوه

إن المعاني العقلية  
كليات مجردة عن  
المادة يلحقها الذهن  
كما يلحق الحس صور  
المحسوسات، حتى  
يكون الذهن كالقوة  
الحساسة للصور، أو  
كالقوة الناطقة  
للمتخيلات

في تسميتها بالكامل الفاضلة، وقال إنه لا حاجة فيها إلى طبيب أو قاضٍ لانقضاء وجود ما يستدعي وجودهما.

وقد ظهرت أصالته في بحوثه الفلسفية في اختلافه مع أرسطو في موضوع الحركة، وتجديده في هذا الميدان، ووضع نظرية جديدة في الحركة، حتى عدّه بعض الدارسين ممهداً لظهور غاليليو مؤسس العلم الطبيعي الحديث.

وظهرت أصالته كذلك في الرسائل التي ألّفها في الإلهيات والتي خالف فيها الفارابي وابن سينا، وأظهر فيها تحرره من النزعة التصوفية التي انتشرت لدى المشاركة.

يمكن أن يطلق على فلسفة ابن باجّه اسم «علم الإنسان» فقد كان جل ما تناوله فيها يبحث في ميدان الإنسان، والفكرة الأساسية التي أضافها إلى التراث الفلسفي هي ما يتصل باتحاد العقل الفعّال بالإنسان.

### من أهم مؤلفاته

لم يكتب ابن باجة بالشرح والتعليق والاختصار، بل ألف كتباً أودعها علمه الخاص، يذكر المؤرخون منها: "مقال في البرهان"، ومقالاً آخر في "الاسم المسمى"، وكتاب "كلام في الإسطقسات" (يبدو أنه في الهندسة)، ومؤلفات في "الرياضة والفلك"، وكتاباً في "النفوس"، وكتاباً في "التشوق الطبيعي وماهيته"، وكتاباً في "القوة النزوعية"، و "رسالة الوداع"، وكتاباً عن "اتصال الإنسان بالعقل الفعّال"، وكتاب "تدبير المتوحد" وغيرها كثير.

— رسالة الوداع: وجهها إلى تلميذه علي ابن الإمام السرقسطي قبيل رحلته إلى المشرق وتحدث فيها عن غاية الوجود الإنساني في تجاوز حدود الفردية والاتحاد بالنفس الكونية، ثم الاتصال بالله الذي لا يكون إلا بالعلم والفلسفة. نشرها المستشرق الإسباني ميغيل آسين بالاثيوس MigulAsén Palacios مع ترجمة إسبانية عام 1943م بمدريد. وترمي "رسالة الوداع" إلى إعادة العلم إلى المكان الذي يليق به، وبيان فضل العلم والمعرفة وفضل التأمل الفلسفي وكيف يؤديان

أنه أول فيلسوف في الإسلام فصل بين الدين والفلسفة في البحث، وانصرف إلى العقل ولهذا اتهم بالإلحاد والخروج عن تعاليم الدين

إن الإنسان يستطيع بلوغ السعادة عن طريق العلم والتفكير لا بإماتة الحواس وتجسيم الخيال، كما يفعل المتصوفون

وحدهما بالإنسان إلى معرفة الطبيعة، وكيف يعينانه — بفضل من الله — على التعرف عن نفسه، ويؤيدان به إلى الإتصال بالعقل الفعال

— تدبير المتوحد: ويعني بالتدبير ترتيب الأفعال نحو الاتحاد بالعقل الفعال والمتوحد هو الفرد، وتحقيق وجود الفرد هو الخطوة الأولى في صلاح المجتمع وتضامنه. حقق الرسالة معن زيادة ونشرت في بيروت 1978م.

— شرح كتابي الأدوية المفردة للطبيب اليوناني جالينوس وللوزير الأندلسي العالم ابن وافد : اللذين يأخذان بمبدأ العلاج الطبيعي بالأغذية بدلاً من العقاقير الطبية، وبالأدوية المفردة بدلاً من المركبة، وقد انتفع بهذا ابن البيطار .

— شرح السماع الطبيعي PhysikeAkroasis لأرسطو: ويدور على المبادئ الكبرى لعلم الطبيعة.

هذه المؤلفات ذات قيم غير محدودة، وقد أشاد ابن طفيل (ت581هـ/1185م) بعمق تفكير ابن باجة فقال في مقدمة «حي بن يقظان»: «ثم خلف من بعدهم (يقصد المهتمين بالمنطق والفلسفة في الأندلس) خلف أحق منهم نظراً، وأقرب إلى الحقيقة، ولم يكن فيهم أثقب ذهناً، ولا أصدق رؤية من أبي بكر بن باجة، غير أنه شغلته الدنيا حتى اختارته المنية قبل ظهور خزائن علمه وبثّ خفايا حكمته».

لم يبق لنا من هذا الإنتاج الغزير إلا شرح ابن باجة لمنطق الفارابي (مخطوط بالإسكوريال) ، وهي رسالة في ذلك الفن تتجلى فيها شخصيته، ومجموعة أخرى من الرسائل في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية ( مخطوطة في مكتبتي أوكسفورد وبرلين ) عني بنشرها آسين بلاثيوس بادئا بمقالته في "النبات" .. أما رسالته المسماة " قول في اتصال العقل بالإنسان " ، فهو يثبت فيها، كما يقول آسين بلاثيوس: " أن العقل الإنساني ، وإن كان مجرد قوة أو استعداد لتقبل المعقولات، فإنه إذا اتحد بالمعقولات يصير صورة الصور كما هو الحال في العقل الفعال ، بمعنى أنه يصير بمثابة محلل المثل ومكان المعقولات، وهو ما

رسالة الوداع:  
وجهها إلى تلميذه  
علي ابن الإمام  
السرقي قنبل  
رحلته إلى المشرق  
وتحدث فيها عن  
حياة الوجود الإنساني  
في تجاوز  
حدود الفردية  
والإتحاد بالنفس  
الكونية، ثم الإتصال  
بالله الذي لا يكون إلا  
بالعلم والفلسفة

تصوره أفلاطون في محاوره طيماوس ورفض أرسطو قبوله ؛ لأنه لا يتفق مع الأساس التجريبي لرأيه في النفس " . وفي هذه الرسالة – كما في غيرها من كتب ابن باجة – روح سارية من التدين تستوجب تصحيح الآراء القديمة التي قررها بعض المستشرقين، والتي تتهم ابن باجة بأنه وجه الفلسفة توجيهها يتعارض مع النزعات الصوفية

أن العقل الإنساني ،  
وإن كان مجرد قوة  
أو استعداد لتقبل  
المعقولات، فإنه إذا  
اتحد بالمعقولات  
يصير صورة الصور  
كما هو الحال في  
العقل الفعال ، بمعنى  
أنه يصير بمثابة محلل  
المثل ومكان  
المعقولات

## ابن خلدون

ابن خلدون (1332-1406 م) Ibn Khaldun أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون، مؤرخ شهير وعالم اجتماع. صاحب المقدمة المشهورة باسمه، وهي التي جعلها لكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر، وقد ضمّتها أفكاره في النفس، والتربية، والتعليم، والاجتماع، وفسانيّة الشعوب، واللغة، فجاءت تحفة علمية فريدة سبق بها عصره، حيث لم تُعالج هذه الموضوعات إلا منذ فترة قريبة نسبياً.

## حياته

ولد ابن خلدون في تونس عام 1332 م توفي أبواه وهو في السابعة عشرة من عمره، وعاش في بلاد شمال إفريقيا، تنحدر عائلته من أصل يمني، وكانت ذات نفوذ في إشبيلية في الأندلس، وبعد سقوط الأندلس انتقلوا إلى تونس، وعاش في جو من الاضطراب السياسي حيث كانت الإمارات تتنازع فيما بينها على السلطة. وقاده طموحه لتقلد بعض المناصب، منها كاتب ابن اسحاق سلطان تونس عام 1351 وكان له من العمر اقل من عشرون عاما فتولى عنده "ديوان الرسائل"، ثم كاتباً لسلطان فاس في المغرب عام 1355، ثم في غرناطة تقلد كاتب سر السلاطين في عام 1362، ..

منحه نشاطه السياسي خبرات تأرجحت بين تحمل أعباء المسؤولية في اعلى درجاتها اذ عين حاجبا وقاضيا وقيها ووزيرا وسفيرا.. وبين حياة السجن والقهر والظلم.. ثم اعتزل الساسة وتفرغ للانتاج العلمي، فعزل نفسه لأربع سنوات في

مؤرخ شهير وعالم اجتماع.. صاحب المقدمة المشهورة باسمه، وهي التي جعلها لكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر، وقد ضمّتها أفكاره في النفس، والتربية، والتعليم، والاجتماع، وفسانيّة الشعوب

منحه نشاطه السياسي خبرات تأرجحت بين تحمل أعباء المسؤولية في اعلى

قلعة أولاد ليكتب مقدمته المشهورة. ثم سافر إلى القاهرة وعمل أستاذاً للفقهاء المالكي ثم قاضياً، ثم أرسل في عدد من المهام كسفير لعقد اتفاقات للتصالح بين الدول. توفي في مصر عام 1406 ودفن بمقابر الصوفية عند باب النصر في شمال القاهرة. كتب ابن خلدون مجموعة رسائل إلى معارفه وأصدقائه أثبتت بها مع الاجابات عليها في كتابه "التعريف بابن خلدون"، وفي مرحلة الشباب ألف كل من "باب المحصل" و"ملخصات في المنطق"، و"ملخصات في الحساب"، كما لخص مؤلفات ابن رشد كلها، وبعضاً من مؤلفات ابن عربي، وله "شفاء السائل في تهذيب المسائل"، ودخل التاريخ عبر مقدمته المشهورة في التاريخ وعلم العمران والتي يقول فيها أنه "أنشأ من التاريخ كتاباً، فصل فيه الاخبار بابا بابا، وسلك في تويبه مسلكاً جديداً".

### مقدمة ابن خلدون

لقد انتهى ابن خلدون من كتابة مقدمته عام 1351م والمخطوطة محفوظة في المكتبة الملكية بالأسكوريال وتعتبر أبرز ما كتبه .. بقي في كتابتها أربع سنوات، وعرض فيها الكثير من المواضيع، وكل المواضيع تستجيب لنظام محكم يتمثل في: أولاً مقدمة ثم ستة أبواب توزعت على فصول عدة.

تتألف مقدمة ابن خلدون من «المقدمة» و«الكتاب الأول» المسمى بكتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، والذي صدره بعنوان: "في طبيعة العمران في الخليفة، وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب، والكسب، والمعاش، والصنائع، والعلوم، ونحوها، وما لذلك من العلل والأسباب، ثم قسمه إلى ستة فصول رئيسية:

- الأول منه في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض. وهي تقابل (علم الاجتماع العام)، وقدم فيها ظواهر المجتمع البشري، والقواعد التي تسير عليها المجتمعات.
- الثاني في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية. كاشفاً أهم

درجاتها إذ عينا  
حاجبا وقتاضيا وفقيها  
ووزيرا وسفيرا..  
وبين حياة السجن  
والقصر والظلم.. ثم  
اعتزل الساسة وتفرغ  
للإنتاج العلمي

لخص مؤلفاته ابن  
رشد كلها، وبعضاً  
من مؤلفاته ابن  
عربي، وله "شفاء  
السائل في تهذيب  
المسائل"، ودخل  
التاريخ عبر مقدمته  
المشهورة في التاريخ  
وعلم العمران

صرح أنه كان  
مبتكراً ومخترعاً لا  
مقلداً أو مقتبساً. ومع  
ذلك لا يدعي النجاح  
الكامل في تحقيق  
أغراضه، ولا يستبعد  
النقص والقصور في  
أبحاثه، بل يطلب  
انتقاده وإتمام ما  
بدأ به ممن يأتي  
بعده



- خصائصه المميّزة، وأنه أصل الاجتماع الحضري وسابق عليه.
  - الثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية. و يقابل (علم الاجتماع السياسي)، وقدم فيها قواعد الحكم، والنظم الدينية، وغيرها.
  - الرابع في العمران الحضري والبلدان والأمصار. ما يقابل (علم الاجتماع الحضري)، شارحا الظواهر المتصلة بالحضر، وأصول المدنية، وأن التحضر هو غاية التمدن.
  - الخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه. يقابل (علم الاجتماع الاقتصادي)، وقد درس تأثير الظروف الاقتصادية على أحوال المجتمع.
  - السادس في العلوم واكتسابها وتعلمها. يقابل (علم الاجتماع التربوي)، ودرس الظواهر التربوية، وطرق التعلم وتصنيف العلوم.
- كما قسم كل واحد منها إلى عدد من المقدمات والفصول.

يفخر ابن خلدون بالتاريخ الذي ألفه؛ وصرح أنه كان مبتكراً ومخترعاً لا مقلداً أو مقتبساً، ومع ذلك لا يدعي النجاح الكامل في تحقيق أغراضه، ولا يستبعد النقص والقصور في أبحاثه، بل يطلب انتقاده وإتمام ما بدأ به ممن يأتي بعده. يقول: «غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا، وكان هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً، واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، عزيز الفائدة، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص».

ويؤكد ابن خلدون أن موضوع العلم الذي أسسه «علم مستنبط النشأة»، وأنه كتب ما كتبه في هذا الصدد من غير أن يستند إلى قول أحد. فقد أدرك بوضوح وضع أسس علم جديد سيشهد توسعاً فيما بعد شأنه في ذلك شأن جميع العلوم التي تبدأ مختصرة ومجلمة، ثم تتوسع وتتقدم بالتدرج، بسبب التحاق وانضمام المسائل الجديدة إليها شيئاً فشيئاً، وقد صح ما تنبأ به ابن خلدون في هذا المضمار، فالمسائل التي عالجها في مقدمته، غدت فيما بعد موضوع اهتمام المفكرين والعلماء، وتكون عنها علمان هامان، هما علم التاريخ وعلم الاجتماع.

يرى ابن خلدون أن للمجتمع البشري شكلين اثنين يمر بهما في تطوره هما البداوة والتحضر. ويجهما طبيعيين مع أنهما يختلفان في أوصافه أجيالهما

ما أن تنتهي مرحلة الكفاح والتأسيس ويثبت وجود الدولة وينقلب زعيم الجماعة ذاته العصبية إلى ملك حتى تشتد نزعة التملك والتفرد لديه

وصلت المقدّمة عبر العديد من المخطوطات التي تمّ جمعها و حفظها و منها ما خطه ابن خلدون بيده. بدأت النسخ العربية في الإنتشار منذ القرن التاسع عشر حيث طبعت أول نسخة عربية في بولاق بالقرب من القاهرة سنة 1857. اما النسخ الأوروبية فقد طبعت و نشرت لأول مرة في باريس سنة 1858 .

### الدولة وبناء المجتمع

يرى ابن خلدون أن للمجتمع البشري شكلين اثنين يمر بهما في تطوره هما البداوة والتحضّر. ويجدهما طبيعيين مع أنهما يختلفان في أوصاف أجيالهما، ولما كان ابن خلدون يربط بين العصبية والبداوة على نحو شبه متكامل، ويرى أنه على المجتمع أن يبني دولته ليدراً لخطر غيره، وكان المجتمع لديه شبيهاً بالكائن الحي، جعل للدولة في تطور المجتمع ثلاثة أجيال، الجيل الأول: منها لم يزل على خلق البداوة وخشونتها والبسالة والاشترار في المجد، ولا تزال سورة العصبية قائمة فيه.

الجيل الثاني: ويتحول بالملك والترف والرفاهية من البداوة إلى الحضارة والخصب، وتتكرس شوكة العصبية لديه بعض الشيء إلا أنه يبقى له بعض الاعتزاز في سعيه إلى العصبية ومحاولة الدفاع عنها وحمايتها.

الجيل الثالث: فينسى عهد البداوة والخشونة، ويفقد حلاوة العز والعصبية، ويبلغ الترف غايته فيصبح عالية على الدولة، مما يدفع بصاحب الدولة إلى استكثار الموالي واصطناع من يرفع عن الدولة بعض العناء حتى تصاب الدولة بالهرم وتذهب بما حملت.

### القيادة

ويرى ابن خلدون أن القيادة تكون جماعية في مرحلة تأسيس الدولة، والجماعة كلها تسير وفق محور العصبية، ولكن ما أن تنتهي مرحلة الكفاح والتأسيس ويثبت وجود الدولة وينقلب زعيم الجماعة ذات العصبية إلى ملك حتى تشتد نزعة التملك والتفرد لديه، فيبدأ بإقصاء بعض أبناء عصبية وأعوانه، وتنقضي المرحلة الأولى بعد استتباب شؤون الدولة، ويبدأ صراع بين الملك وأعوانه السابقين أو أقاربه

يصوغ مبدأ آخر هو مبدأ الانتقال من البداوة إلى الحضارة، ومع أن ذلك نعيم من ناحية، إلا أنه جحيم من نواح أخرى لأنه يضعف الهمم، ويعوّد على الراحة، ويشجع الجشع في حب المال والانبطاج على الشهوات، وتذهب معه عصبية الجماعة وحمايتها

الجيل الحاكم للدولة، وهو الجيل الرابع الذي ولد وربي في النعيم، وحسب أن مقاليد الأمور ستأتيه بلا مشقة، فينشغل بالملذات عن إداره الدولة ورعاية مصالحها العامة، ويؤنس منه الوداعة والمسالمة اللتان تقودان شيئاً فشيئاً إلى الضعف والعجز، وهنا تؤخذ الدول بالزوال

وأبناء عشيرته. ومن هنا يصوغ ابن خلدون القانون الأول ومفاده «مبدأ التخلص من الأعوان الأصليين أو الميل نحو التفرد بالحكم» والأساس الذي يرتكز عليه القانون هو انتقال الدولة أو العشيرة إلى سكنى المدن وتركها شظف العيش وطلبها لطيب الطعام والشراب وزاهي الكساء وجميل العمران، والملوك في الغالب من السباقيين إلى ذلك.

ثم يصوغ مبدأ آخر هو مبدأ الانتقال من البداوة إلى الحضارة، ومع أن ذلك نعيم من ناحية، إلا أنه جحيم من نواح أخرى لأنه يضعف الفهم، ويعود على الراحة، ويشجع الجشع في حب المال والانكباب على الشهوات، وتذهب معه عصبية الجماعة وحميتها، إذن فالمبدأ الثاني يحمل في طياته مبدئين آخرين، هما «الحاجة المتزايدة إلى المال» و«العزوف عن الشظف والميل إلى الترف» اللذان يترابطان كأنما يمثلان أمراً واحداً.

إن الدولة تبدأ في العادة بسيطة، يتولى زعماء العشيرة الظافرة شؤونها على نحو مختلط من غير تقسيم العمل، ولكن ما أن تثبت الدولة على حالة الاستقرار نوعياً وتنتسج أعمالها ونطاقها حتى تبدأ بإنشاء الأجهزة والدواوين المتخصصة والمتعددة، ويحتاج القائمون على الأمر إلى أصحاب الكفاءات لإدارة شؤون الحكم وهم قلما يعثرون على الأمين الكفاء، فتجدهم لهذا يقنعون مجبرين بالصفة الثانية، إذ لا خير يرجى من أمين بليد، هذا ما يجر على الدولة وبالأعظم، ويفعل فعله في تسريع هرمها، وهذا المبدأ يعبر عنه بقانون «الانتقال من البساطة إلى التعقيد في إدارة شؤون الدولة».

### كيف تضعف الدولة برأي ابن خلدون؟

تفعل جملة المبادئ السابقة فعلها في كيان الدولة فتضعف قوتها، وتتكرس شوكتها، ويقل مالها قياساً إلى حاجاتها، فتبدأ بإرهاق المواطنين بالضرائب والرسوم المجحفة، وقد تلجأ إلى مصادرة الأموال والأرزاق، مما يؤثر سلباً في بنية الدولة فيقل التفاعل الاجتماعي وتصير الحال إلى أشبه ما يسمى اليوم بالاقتصاد المغلق فتشيخ الدولة، وتشرف على الزوال، ومرجع ذلك كله في نظر ابن خلدون إلى

صعود الدولة مقترون  
طردياً بصعود  
الاقتصاد، لأن الدولة  
تأخذ بالارتقاء والنمو  
وتكتسب القوة حين  
تمتلك تسبيراً  
اقتصادياً مزدهراً  
مطلقاً إلى التمسك  
والتوسع المستمرين

يربط ابن خلدون  
الاقتصاد بعدد  
السكان فيقول: «وأما  
الأعمار الصغيرة  
والقتيلة السكان  
فأقواتهم قليلة لقلة  
العمل». فقد توصل  
إلى أن العمل هو  
جوهر الحياة  
الاقتصادية وقوامها

العصبية وخمود نواتها في جسم الدولة وإذلال ما تبقى فيها من روح وحمية، ونتيجة لذلك يبدأ الاعتماد على المأجورين بدلاً من ذوي القرابة والعصبية فنقل التضحية، كما أن حياة التحضر والرفاه تذهب بشجاعة الإنسان واندفاعه في سبيل حفظ المبادئ الحقة أو الذود عنها، ويتكل فيما يتصل بشؤونه كلها على غيره مما يفضي إلى الجيل الهادم للدولة، وهو الجيل الرابع الذي ولد وربى في النعيم، وحسب أن مقاليد الأمور ستأتيه بلا مشقة، فينشغل بالملذات عن إدارة الدولة ورعاية مصالحها العامة، ويؤنس منه الوداعة والمسالمة اللتان تقودان شيئاً فشيئاً إلى الضعف والعجز، وهنا تؤذن الدول بالزوال.

وفي بعض الأحيان يهياً للدولة في آخر أطوارها ملك قوي متحمس فيه بقية من عنفوان العصبية يقوم بمحاولة إرجاع الدولة إلى طور شبابها ليجنبها الزوال، إلا أن فعله سوف لن يؤتي ثماراً لأن القوانين الاجتماعية التي يسير المجتمع والدولة وفقها (بوجه أقرب إلى الحتمية) لها فعلها، وهي أقوى من إرادة الأفراد، ثم إن العصبية هي التي تنتج المجتمع والدولة والفرد والقائد، وليس بإمكان الفرد القائد أن ينشئ دولة أو مجتمعاً بلا عصبية، وليس بإمكانه أن يعيد الحياة إلى البذور الميتة والعصبية المتحللة.

### الاقتصاد والمجتمع

يولي ابن خلدون الاقتصاد مكانة بارزة في تكوين الدولة وفي تحديد عمرها، وحتى في تحديد الطور الذي هي عليه. فالاقتصاد لديه - على ما يبدو - يمثل العنصر الثاني من عناصر تكوين الدولة، أي أنه في المرتبة الثانية بعد العصبية. يرى أن للحكومة أو الدولة تأثيراً بالغ الأهمية على بنية وشكل وجدوى الاقتصاد، فهو يربط الاقتصاد بالمجتمع عن طريق الدولة، لأن الدولة هي التي تنتج أفضل الفرص ليقبل مواطنوها على العمل وتطوير الإنتاج والصناعات، مما ينعكس إيجاباً على مستوى الحياة الاقتصادية، لأن الدولة الحقة والعادلة تبغي وتعي رفعة شأنها وتحاول في سبيله ما أمكنها. وصعود الدولة مقترن طردياً بصعود الاقتصاد، لأن الدولة تأخذ بالارتقاء والنمو وتكتسب القوة حين تمتلك تسييراً

سبق الاشتراكيين  
المحدثين الذين  
يعدون العمل عنصر  
الإنتاج الأساسي، كما  
أنه من السابقين إلى  
تقسيم العمل بين  
محلي وخارجي  
وترتيبه على مراحل

صفحة الفلاحة في  
درجات الأعمال  
حانت النسب القليل  
وهي مقترنة بالفقر،  
وتليها الأعمال  
الكتابية والدينية،  
أما أصحاب الدخل  
المرتفعة فهم  
أصحاب السلطة  
والصناعات

اقتصادياً مزدهراً متطلعاً إلى التحسن والتوسع المستمرين. وتدخّل الدولة في معالجة وتسيير الاقتصاد في المجتمع يأخذ أحد شكلين:

**الشكل الأول:** معني بالخير العام أو صالح الجماعة ككل، حينذاك تنشط الدولة في إنشاء المشروعات وشق الطرق والترع وما إليها وإقامة المنشآت العامة والأبنية، مما تعجز عنه الإمكانيات الفردية للمواطنين كما تهئّ السبل للمواطنين ليعملوا ويتمكنوا من الحصول على مستوى لائق من العيش، فيرتفع بذلك المستوى الاقتصادي العام لهذه الدولة.

**الشكل الثاني:** فيصّب اهتمامه على الخير الخاص أو صالح الفرد الحاكم أو الأسرة المالكة. وإذ ذلك يبتعد الحاكم عن رعاية أمور المواطنين وشؤونهم ومصالحهم ويستهدف ربحاً شخصياً فيتحول في نظر ابن خلدون إلى تاجر، وقد تتحول الدولة بمجموعها إلى تاجر منافس للتجار يفرض على الآخرين أن يبيعوه بالسعر الأدنى وأن يشتروا منه بالسعر الأعلى فيبالغ الحاكم - نتيجة للحاجة المتزايدة إلى المال - بفرض الضرائب والغروم (الغرامات المالية)، ويرفع الأسعار فوق مستوى قدرة المستهلكين، فتقل قدرتهم الشرائية، ويتضاعف الطلب، فيقل الإنتاج.

كما يربط ابن خلدون الاقتصاد بعدد السكان فيقول: «وأما الأمصار الصغيرة والقليلة السكان فأقواتهم قليلة لقلة العمل». فقد توصل إلى أن العمل هو جوهر الحياة الاقتصادية وقوامها، لأنه رأى أن كسب الرزق يقوم على عمل الإنسان وسعيه، أما دور الطبيعة فتانوي، ولا يمكن الاعتماد عليه لأن ما يوفره يكون في المقدار الضئيل ويتم مصادفة.

وعد العمل قوام الحياة الاقتصادية، وهذا ما أكده في الباب الخامس من الكتاب الأول في المقدمة من أن ازدهار الاقتصاد إنما يكون نتيجة كثرة الأعمال، وأنه يضمّر بتقهقرها لأنه يقيم الإنتاج وبقية ظواهر الحياة الاقتصادية على العمل الإنساني، وهو في ذلك قد سبق الاشتراكيين المحدثين الذين يعدون العمل عنصر الإنتاج الأساسي، كما أنه من السابقين إلى تقسيم العمل بين عضلي وذهني وترتيبه على مراحل، يقول: «واعلم أن تلك الأفعال للأقدمين إنما كانت بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الأيدي عليها».

الإنسان محد ابن  
خلدون نتاج الوراثة  
والبيئة، ولصما  
تأثيرهما على  
نفسانيته، وعلى طباعه  
وخلقه وسماته،  
فالأقاليم المعتدلة  
سكانها من البشر  
أعدل أجساماً وألواناً  
وأخلاقاً وأدياناً

التزرف يفسد الصحة  
البدنية والنفسية،  
وينحرفه بالتفكير،  
واعتدال المعيشة فيه  
إذكاء للعقول، وخفة  
للأجسام، وقبول للتعليم

يرى أن التفاعل بين  
البيئة الطبيعية  
والإنسان لا يحدث من  
جانبه واحد؛ إذ إن  
الإنسان يؤثر بدوره  
في البيئة نفسها كما  
تفعل فعلماً فيه

## أنماط كسب الرزق عند ابن خلدون

يذكر ابن خلدون عدة أنماط لكسب الرزق: أسلوب الزراعة (الفلح) وفيه نجد العناية بالحيوان وبالنبات وبالأرض وغير ذلك، وأسلوب التجارة الذي يمثل إحضار البضائع وتهيئتها للبيع وبيعها، إضافة إلى أسلوب الصناعة، ومن طرق كسب الرزق أيضاً الصيد، والكسب المتأتي عن طريق جباية الأموال من الناس، ويرى أن الزراعة كأسلوب للمعيشة بدأت أولاً لأنها تحتاج في الغالب إلى جهود جماعية وتلتها الصناعة، وهذه تحتاج إلى تعاون القدرات النظرية والعملية، ثم التجارة وهذه تتطلب ميزة خاصة لتحصيل الفرق بين سعر الشراء وسعر البيع، ويبحث في مصير ما ينتج عن طريق وسائل الكسب المختلفة، فيجد أنه إما أن ينفق في سبيل تحصيل المعاش والرفاهية، أو أن يتخذ على شكل مال (رأسمال) في سبيل الحصول على مكاسب جديدة. ويقترب ابن خلدون من مفهوم فضل القيمة حينما يشير إلى تفاوت الناس في كسب أرزاقهم، وأن بعضهم يكسب ذلك من عمله والآخر يكسبه من عمل غيره، ثم تجده يصف الفلاحة في درجات الأعمال ذات الكسب القليل وهي مقترنة بالفقر، وتليها الأعمال الكتابية والدينية، أما أصحاب الدخول المرتفعة فهم أصحاب السلطة والصنائع.

وينظر ابن خلدون إلى التجارة على أنها عملية الشراء بسعر رخيص، ومحاولة البيع بسعر أعلى، والفرق ما بين البيع وسعر الشراء أت من إحدى طريقتين، أولاهما: إبقاء التاجر البضاعة لديه حتى يشتد الطلب عليها ويرتفع سعرها، وتجده هنا يشير إلى مفهوم الاحتكار. والطريقة الثانية: هي نقلها إلى مكان آخر شديد الحاجة إليها، وفي كلتا الطريقتين يظهر فهم ابن خلدون لمسألة العرض والطلب. كما عرف تجارة الجملة ونصف الجملة أيضاً، حين تحدث عن الباعة الذين يشترون من التجار الكبار في أنهم قد يطمعون عليهم بالأسعار والأوزان، ثم نجده يتحدث عن أخلاق التجار والباعة ومن إليهم من العاملين في التجارة، ويرى أنها بوجه عام أدنى من أخلاق أهل الشرف والمروءة والعزة.

تفسير الرؤيا عنده  
أنها مطالعة النفس  
لصور من الواقع،  
فإن النفس إذا  
كانت منطبعة فإن  
صور الواقع تؤثر  
فيها

النفس هي النوع  
تعود به إلى  
مداركها، وتفتبس  
من الواقع بالمحاكاة  
والمثال في الخيال،  
وكلما كان الشخص  
معرضاً للمشاكل كلما  
كانت صورته العلمية  
مشوشة فتحتاج إلى  
التعبير، أما ذو  
النفس الصافية  
فأحلامه صافية ولا  
تحتاج للتعبير

ثم يقسم ابن خلدون الصناعات أو الحرف بحسب أهميتها النابعة من خلال كونها ضرورية لبقاء النوع الإنساني وفي مقدمتها الزراعة والتجارة والحداة والخياطة والبناء، أما شرف موضوعها فهو أنها تتناول الإنسان أو جانباً من جوانبه المعنوية كالطب والتوليد والكتابة والشعر والغناء، ثم يوضح الوظيفة الاجتماعية لكل من هذه الحرف والمهن، وكذلك سبب قيامها وتاريخ تطورها بتمحيص عقلي وبرؤية تحليلية، فهو مثلاً، يرفض الرأي بأن العمالقة هم من أشاد الأبنية الضخمة القيمة ويرى أن الذين بنوها هم أناس عاديون استعانوا بالعلوم الهندسية وأساليب معينة لرفع المواد الثقيلة والكتل الكبيرة.

ويرى ابن خلدون أن للنقد شكلين، نظري وعملي (واقعي)، فالنظري من النقد هو ما يحسب على الورق في المعاملات التجارية وحسابات الدواوين وغيرها، أما الواقعي من النقود فهو ما يضرب فعلاً ويأخذ الشكل المتداول، وهو يختلف من دولة إلى أخرى.

### الإنسان والبيئة

الإنسان عند ابن خلدون نتاج الوراثة والبيئة، ولهما تأثيرهما على نفسانيته، وعلى طباعه وخلقه وسماته، فالأقاليم المعتدلة سكانها من البشر أعدل أجساماً وألواناً وأخلاقاً وأدياناً، حتى النبوات اختصت بالأقاليم المعتدلة لأن سكانها الأكمل نوعاً في خلقهم وأخلاقهم، ويبعدون عن الانحراف في عامة أحوالهم. والحر والبرد لهما مزاجان، ومزاج الحر له طبيعة حارة، ومزاج البرد له طبيعة باردة.

كما ان التمييز بين الأمم لا يقع بالأنساب فقط، ولكنه أيضاً بالسماة الخلقية التابعة لمزاج المناخ، وما يستتبع ذلك من اختلاف العوائد والخواص والمميزات. والمناخ له أثره غير المنكور في الأخلاق والأحوال النفسية، كما أن لاختلاف العمران في الخصب والجوع أثره كذلك في الأبدان والأخلاق. والترف يُفسد الصحة البدنية والنفسية، وينحرف بالتفكير، واعتدال المعيشة فيه إكذاء للعقول، وخفة للأجسام، وقبول للتعليم. ابن خلدون من القائلين بنظرية الأطوار النفسية، وهي تقع للأفراد كما تقع للدول والمجتمعات، وفي كل طور يكون للفرد أو تكون للدولة خلقٌ من

النفس مطورة على  
ارتفاع حجاب  
الحواس بالنوم،  
فتتعرض الصور في  
العقل للتخريف وتأتي  
الذائم على هذه الحال

يؤثر العرافة في  
المشاهدين فيعانون  
انحصار المدارك  
الحسية إلا نوعاً واحداً  
منها وهو البصر،  
فيحكون على المرئي  
البسيط حتى يبدو له  
بالوهم أنه المدرك  
المقصود

أما ما يروونه في سطح  
المرآة فإنهم من  
فرد تركيزهم  
بالبصر على السطح  
يبدو لهم فيه تمام  
تتمثل فيه صور هي  
مداركهم هم أنفسهم

أحوال ذلك الطور، لأن الخلق تابع للمزاج النفسي أو الأحوال النفسية. وبقول ابن خلدون بأن البيئة بمعناها الشمولي هي السبب المباشر في اختلاف البشر جسدياً وعقلياً ونفسياً وخلقياً، وأنها هي التي تميز مجتمعاً ما عن غيره في تقاليده وعاداته ومنازعته واقتصادياته وشؤونه المختلفة، غير أن هذه الحتمية التي درج عليها ابن خلدون لم تكن مطلقة، لأنه يرى أن التفاعل بين البيئة الطبيعية والإنسان لا يحدث من جانب واحد؛ إذ إن الإنسان يؤثر بدوره في البيئة نفسها كما تفعل فعلها فيه.

### ابن خلدون والباراسيكولوجيا

يتناول ابن خلدون مسائل علم النفس الغيبي أو الباراسيكولوجيا تناولاً مفصلاً، ويتحدث عن الرؤى، والأحلام، وتوارد الخواطر، والتأثير النفسي عن بعد، ومذهبه فيها متقدم جداً، وتفسير الرؤيا عنده أنها مطالعة النفس لصور من الواقع، فإن النفس إذا كانت منطبعة فإن صور الواقع تؤثر فيها، فإذا غفل صاحبها كانت رؤيته لهذه الصور. والناس تفرق في ذلك، وبعضهم يحلم أكثر من البعض، والبعض تأتيه الأحلام دوماً أو كما يقولون حالياً إن بعضنا له شخصية حلمية، فهو ضعيف تجاه الواقع. والنفس في النوم تعود به إلى مداركها، وتقتبس من الواقع بالمحاكاة والمثال في الخيال، وكلما كان الشخص معرضاً للمشاكل كلما كانت صورته الحلمية مشوشة فحتاج إلى التعبير، أما ذو النفس الصافية فأحلامه صافية ولا تحتاج للتعبير. والنفس مفطورة على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم، فتعرض الصور في العقل للتحريف وتأتي النائم على هذه الحال. والناس إذا تخفتت من شواغل الحس وموانعه رجعت إلى صور الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية، إلا أنها مع ذلك بها شبه من الواقع، لأنها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً. والأحلام تأتي الحالم لأن النفس تقصد إلى ذلك.

ويقول ابن خلدون عن العرافة والكهانة، والنظر في الأجسام الشفافة كالمرابا وطساس الماء، والطرق بالحصى، بأنها من أعمال الإيحاء، بأن يؤثر العراف في المشاهدين فيعانون انحصار المدارك الحسية إلا نوعاً واحداً منها وهو البصر،

كل نفس لها استعدادها لتلقي نوع من التعليم تفيد منه. والتعليم لا بدّ فيه من التجربة، وأساسه المدرجات الحسية. والملكات تزيدها الحنكة في التجربة، والصناعات تفيد العقل

في الكتابة تنتقل من الحروف الخطية إلى الملكات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني



فيعكف على المرئي البسيط حتى يبدو له بالوهم أنه المدرك المقصود. وأما ما يرونه في سطح المرآة فإنهم من فرط تركيزهم بالبصر على السطح يبدو لهم فيه غمام تتمثل فيه صور هي مداركهم هم أنفسهم، فيشير العرّاف لهم بالمقصود لما يتوجهون إلى معرفته من نفي أو إثبات، فيخبرون بذلك على نحو ما أدركوه، وإنما ينشأ لهم بها إدراك هو نفساني، ليس من إدراك البصر، بل يتشكل به المدرك النفساني للحس. ويضرب ابن خلدون مثلاً للتشوّف النفسي Telepathy بحادثة عمر بن الخطاب مع سارية الجبل، والمتشوّف اسمه عنده المحدثّ ويفسر عمل القائلين بالدلالات النجومية بأن فيهم فرط حدس يقف بهم على تحليل الشخصيات في العالم.

### الإنسان والتعليم عند ابن خلدون

ويقول في تأثير التعلم على الإنسان، إنه يُخرج ما يكون في النفس بالقوة إلى الفعل، أي أن التعلم والتربية مظهران للطبع، وكذلك فكل نفس لها استعدادها لتلقي نوع من التعليم تفيد منه. والتعليم لا بدّ فيه من التجربة، وأساسه المدركات الحسية. والملكات تزيدها الحنكة في التجربة، والصنائع تفيد العقل، فالكتابة مثلاً من الصنائع الأكثر إفادة، لأننا في الكتابة ننقل من الحروف الخطية إلى الملكات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس، فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات، فنكتسب بذلك ملكة من التعقل تكون لنا زيادة عقل وقوة فطنة في الأمور.

ويميز ابن خلدون بين الإنسان والحيوان: أنهما متشاركان في الحيوانية من الحس والحركة والغذاء، الخ، وإنما تميز الإنسان بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه، والتعاون عليه مع أبناء جنسه، والاجتماع المهيب لذلك التعاون. وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصنائع، ويكون التعلم ضرورة لأنه به يعرف علوم السابقين، ويستمر على التفكير حتى يصير له ملكة. والمدرس صنعة التدريس، والتدريس ملكة لا بدّ فيها من الإحاطة بمبادئ علم التدريس وقواعده والوقوف على مسأله

النبي في النفس،  
فيحصل لها ملكة  
الانتقال من الأدلة  
إلى المدلولات،  
فنكتسب بذلك ملكة  
من التعقل تكون لنا  
زيادة عقل وقوة  
فطنة في الأمور

يجب على المعلم في  
أول التعليم أن يلجأ  
إلى المحسوس، ولا  
يجب أن يخلط علماً  
بعلم، ولا أن يتناول

واستنباط فروعه من أصوله، ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين. ولكل علم وصنعة اصطلاحاتها التي ينبغي أن يحذق المعلم فيهما. وبعض البلاد قد تطيل مدة التعليم فيها في المدارس، وبعضها قد يختصرها، بحسب ما ترى من حصول طالب العلم على مبتغاه من الملكة العلمية أو اليأس من حصولها، فتطول مدتها في بلاد لأجل عُسرها من قلة الجودة في التعليم، أو تُختصر مدتها في بلاد لعدم عنايتهم بالعلوم لتناقص العمران. ويتناول ابن خلدون أثر التدريب كما في نظريات التعلم المعاصرة، فيقول إن كل صناعة يرجع منها إلى النفس أثر يُكسبها عقلاً جديداً تستعد به لقبول صناعة أخرى، ويتهياً بها العقل بسرعة الإدراك للمعارف. ويحكي ابن خلدون عن أهل مصر أنهم أفادوا من ذلك، فكانت لهم حُسن الملكات في التعلم والصنائع وسائر الأحوال العادية، مما يزيد الإنسان ذكاءً في عقله، وإضاءةً في فكره، وبكثرة الملكات الحاصلة للنفس، لأن النفس إنما تنشأ بالإدراكات وما يرجع إليها من الملكات.

ويعيب ابن خلدون الكتب المختصرة في العلوم، لأن اختصارها يخل بالتحصيل، ويخلط على المبتدئ، وهو من سوء التعليم. وينصح للمدرس أن يكون في تعليمه على التدريج شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا، وأن يتبع في ذلك ثلاث خطوات:

في الأولى: يكون مُجمالاً، أي شارحاً على الإجمال، فيراعي قوة عقل المتعلم واستعداده، ويهيؤه لفهم هذا العلم أو الفن. وفي الخطوة الثانية: يرتفع لأعلى من ذلك، فما كان مجملًا يفصله ويبينه ويخرجه عن الإجمال، ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهة النظر فيه، إلى أن تجود ملكة المتعلم، وفي الخطوة الثالثة: يرجع به ويشد عليه فلا يترك عويصاً ولا مهمماً ولا مغلقاً إلا وضّحه، حتى يتأكد أنه استكمل عدته في هذا العلم، وإنما يحصل ذلك بثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك، فهناك فروق فردية بين المتعلمين والمعلمين.

ويجب على المعلم في أول التعليم أن يلجأ إلى المحسوس، ولا يجب أن يخلط علماً بعلم، ولا أن يتناول في المرة الواحدة إلا مهارة واحدة لتدريبها، أو مسألة واحدة لتفهمها. ولا ينبغي أن تطول المسافة الزمنية بين جلسة التعليم والتي تليها، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل العلم بعضها عن بعض، فيعسر حصول الملكة

في المرة الواحدة  
الإمارة واحدة  
لتدريبها، أو مسألة  
واحدة لتفهمها

إن الإقتال على  
المتعلم، سيما في  
أصغر الأولاد،  
مضرة، وينبغي للمعلم  
أن لا يستبد على  
الولد في التأديب  
لأنه من سوء الملكة،  
ويضيّق على النفس  
انبساطها، ويذهب  
بنشاطها، ويدعو إلى  
الفسل

بتفريقها، وإنما الملكات تحصل بتتابع الفعل وتكراره. ويتناول ابن خلدون العقاب والثواب في التعليم، ويقول إن الإقتال على المتعلم، سيما في أصغر الأولاد، مضرّة، وينبغي للمعلم أن لا يستبد على الولد في التأديب لأنه من سوء الملكة، ويضيق على النفس انبساطها، ويذهب بنشاطها، ويدعو إلى الكسل، ويحمل على الكذب والخبث والتظاهر بغير ما في الضمير، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر. وإذا تعلم الولد بالخدعة صارت الخديعة له عادة وخُلُقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له، وصار عيالاً على غيره، وتواكلت النفس عن اكتساب الفضائل فارتكست وعادت في أسفل السافلين، فيكون ذلك وبالاً على الأمة، ويعتاد أبنائها القهر والتعسف.

### النهج العلمي في البحث الاجتماعي

يعد ابن خلدون رائداً من رواد تطبيق المنهج العلمي بصورته الاستقرائية، خاصة في ميادين العلوم الإنسانية، بل يعد من وجهة نظر علم الاجتماع المعاصر أحد الرواد القلائل الذين ألموا بالكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية إماماً تعدى فهم المسائل الاجتماعية إلى صياغة القوانين وانتهاج المنهج العلمي والبحث الاجتماعي، مما مكّنه من الربط بين الفلسفة والاجتماع وأصول البحث العلمي، فكان بحق فيلسوفاً من فلاسفة التاريخ والاجتماع والمعرفة والعلم.

ويتميز منهج ابن خلدون في دراسة الظواهر الاجتماعية بخصائص ثلاث هي:

**الشمول:** إذ نظر إلى الظواهر الاجتماعية نظرة شاملة تظهر من خلال حديثه عن ضرورة الاجتماع البشري، ثم التفصيل في خواصه إذ يشمل جميع جوانب الموضوع تاريخياً وجغرافياً وبيئياً، فجاءت المقدمة في اتجاه الإحاطة بالموضوع فكرياً من جوانبه كلها، الأمر الذي يجعل من الكتاب دائرة معارف عامة.

**الموضوعية:** فنتجلى في تعريفه لواقعات العمران البشري وللأحوال، وتبيانها بالأمثلة الواقعية، ولكنه لم ينس في واقعيته وموضوعيته الأسس النفسية، فقد تحدث في الفكر الإنساني، وفي أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر، وفي العقل التجريبي، وكيفية حدوثه، وأثبت أن عالم الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب، إذ يقول: «إنما الذي فضل به أهل المشرق عن أهل المغرب هو ما

إنما الذي فضل به  
أهل المشرق عن أهل  
المغرب هو ما يحصل  
في النفس من آثار  
المضارة من العقل  
المزيد .... فيظنه  
العامي تفاوتاً في  
الحقيقة الإنسانية».

يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيد .... فيظنه العامي تفاوتاً في الحقيقة الإنسانية».

**النظرة التكاملية:** ولا تحتاج النظرة التكاملية في المنهج الخلدوني إلى كثير من الإيضاح، لأنه كان يصرح في مواقع كثيرة بأن هناك ترابطاً بين الوقائع الاجتماعية على الجملة وبين كل واقعة مفردة. فهذه الترابطات التي ينادي بها ابن خلدون في مقدمته هي دليل يؤكد نظريته إلى المجتمع على أنه كائن حي مترابط ترابطاً عضوياً. ويؤكد ابن خلدون أهمية التأثير المتبادل والتغير أو الصيرورة، ويمكن الاستدلال على ذلك في تقييمه للمنطق، فقد رأى فيه علماً ومنهجاً للبحث، ومن هنا تميز تفكيره بالعلمانية والمنهجية في بحثه للظواهر الاجتماعية والاقتصادية، لذا فقد عالج الحياة البشرية والتفاعل الإنساني من منظور حركي، فلم يبحث في الأشياء الاجتماعية، وإنما في التفاعلات والتطورات التي تطرأ عليها، كما أطلق على التفاعلات اسم العوارض الذاتية، وعلى التطورات اسم الأحوال. أما المشكلات «الدخيلة» فلا يعتقد بها لأنه يفرق بين ما يلحق «ال عمران من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه» من جهة وبين ما يكون «عرضاً لا يعتد به» من جهة أخرى، بمعنى آخر أن العوارض التي ليس بينها وبين بقية الوقائع الطبيعية ترابط وتكامل هي مشكلات مؤقتة لا ينظمها قانون ولا يمكن أن تدوم. وبديهي أن تكون العلاقات بين «العوارض الذاتية» للتربية والظواهر الاجتماعية الأخرى أوضح وأوثق من علاقة المشكلات الدخيلة العارضة بمجموع النظام الاجتماعي. بل إن ابن خلدون إذ يحتفظ لكل ظاهرة باستقلالها يحاول أن يؤيد القانون الذي يكشف عن طبيعة إحدى الظاهرتين ببيان انطباق ذلك القانون على الظاهرة الأخرى أيضاً.

ويقول ابن خلدون بأن البيئة الجغرافية والاجتماعية هي السبب المباشر في اختلاف البشر جسماً وعقلياً ونفسياً وخلقياً، وأنها هي التي تميز مجتمعاً ما عن غيره في تقاليده وعاداته ومنازعاته واقتصادياته وشؤونه المختلفة. وقد انطلق في تفسيره الأولي للظواهر من وجهة الرؤية الحتمية، لكنها ليست حتمية صارمة، فقد كان واعياً أنه يتعامل في بحثه مع الإنسان، لذلك أفسح في المجال للإبداع الإنساني

يقول ابن خلدون بأن  
البيئة الجغرافية  
والاجتماعية هي  
السبب المباشر في  
اختلاف البشر جسماً  
وعقلياً ونفسياً وخلقياً،  
وأنها هي التي تميز  
مجتمعاً ما عن غيره  
في تقاليده وعاداته  
ومنازعاته  
واقتصادياته وشؤونه  
المختلفة

ولتأثير العقل والذكاء والعمل، وبين بوضوح أثر هذه العوامل الاجتماعية البحتة في تقدم الحضارات الإنسانية، وأدرك أن العلاقة بين البيئة والإنسان يحكمها قانون التأثير المتبادل، ويعمل ذلك تعليلاً يكاد يكون جديلاً يعتمد على تضارب العادات وتفاوتها وتركيب المتضارب المتفاوت منها، يقول: «الناس على دين الملك، فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة».

وتحتل الأهداف النظرية للدراسة الاجتماعية عند ابن خلدون المكان الأول، ويكاد لا يأبه للأهداف العملية، ولذلك فإن بحث الأهداف عنده يقوم على أساسين، هما التمحيص وكشف القانون. فقد كان الغرض الأساس لابن خلدون أن يكتب كتاباً في التاريخ مدفوعاً بما اكتشفه

من أغلاط المؤرخين من قبله. ولذلك بحث عن الوسيلة التي يستطيع بها تمحيص الأخبار ووجد أن ذلك لا يكون إلا بمعرفة «طبائع العمران» من جهة «والعوارض الذاتية التي تلحقه» من جهة أخرى. كما أن من أهم الأسباب التي دعت إلى إنشاء هذا العلم الجديد حرصه على تخلص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة، وعلى إنشاء أداة يستطيع بفضلها الباحثون والمؤلفون في علم التاريخ أن يميزوا بين ما يحتمل الصدق وما لا يكون كذلك في الأخبار المتعلقة بظواهر الاجتماع. مرجعاً الأسباب الداعية للكذب إلى أمور ذاتية تتعلق بشخص المؤلف وميوله وأهوائه ومدى انقياده إليها، أو الجهل بالقوانين التي تخضع لها كل من الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وإلى «الجهل بطبائع الأحوال في العمران، فإن كل حادث لابد له من طبيعة محضة في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب». فقد أخذ على المؤرخين قبله أنهم اقتصروا على نقل الأخبار: «وأدوها إلينا كما سمعوها ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل وطرفه التنقيح هي الغالب قليل».

أخذ على المؤرخين  
قبله أنهم اقتصروا  
على نقل  
الأخبار: «وأدوها إلينا  
كما سمعوها ولم  
يلاحظوا أسباب  
الوقائع والأحوال ولم  
يراعوها ولا رفضوا  
ترهات الأحاديث ولا  
دفعوها، فالتحقيق  
قليل وطرفه التنقيح  
هي الغالب قليل

وبعد كشف القوانين في نظر ابن خلدون وسيلة ضرورية لتحقيق الهدف الأول «التحصيل»، فهو يعتقد أن «كل حادث من الحوادث، ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله». وواضح انه يقصد بقوله طبيعة أو عوارض ذاتية ما يسمى اليوم «قانوناً».

وقد شبه العلاقة بين العلة والمعلول بالعلاقة بين المبتدأ والخبر: كل واحد منهما مرتبط بالآخر، وأشار إلى ذلك في عنوان كتابه، فقال: «ولما كان مشتملاً على أخبار العرب والبربر، من أهل المدر والوبر، والإمام بمن عاصرهم من الدول الكبر، وأفصح بالذكر والعبر في مبتدأ الأحوال وما بعدها من الخبر، سميته كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر». أما الوسائل، وهي إحدى خصائص الدراسة الاجتماعية لابن خلدون، فمنها ما يتعلق بالعقيدة والفلسفة، ومنها ما يتعلق بالتفكير العلمي والمنهج المنطقي، ومنها ما يتعلق بالصناعة والتطبيق الفني. أما ما يتعلق بالعقيدة فهي عقيدة التوحيد التي يؤمن بها ابن خلدون، إضافة إلى أنها كانت الطابع المميز للبيئة في عصره، ومن العقيدة ذاتها ينبع موقف فلسفي هو الإيمان بالاحتمية، أي إن ظواهر الكون الواحد تخضع حتماً لقوانين موحدة لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ما دام يسيطر على الكون إله واحد.

ويظهر ابن خلدون انطباق القانون البيئي على الظاهرة الاجتماعية من دون أن يلحق الدراسة الاجتماعية بالدراسات البيئية. ونتيجة لوحدة الظاهرة ووحدة القانون فإنه يوحد أنحاء البحث ويجمع المقارنة التاريخية مع المقارنة الجغرافية على أساس أن كلاً من النظريتين تتم الأخرى.

وتتضح معالم التفكير العلمي عند ابن خلدون في بيان أسسه كالتشك المنهجي، والإيمان بالعقل، والرجوع إلى الوقائع ثم بيان خصائصه كالموضوعية والتجزئة، والدقة، وأخيراً بيان خطواته المنطقية في تحصيل المعلومات وفي عرضها، وقد استطاع عن طريق الملاحظة والمشاهدة أن يفند أقوال كبار المؤرخين، ومن خلال الاعتماد على التجربة والملاحظة الحسية وسائل أساسية من وسائل البحث. ويتبع ابن خلدون في بحثه عن الحقائق المنهج الاستقرائي الذي يستند إلى جمع المعلومات، ومقارنتها وتصنيفها لاستخلاص القانون منها. ويعتمد في

يعتقد أن «كل  
حادث من الحوادث،  
ذاتاً كان أو فعلاً  
لا بد له من طبيعة  
تخصه في ذاته وفيما  
يعرض له  
من أحواله». وواضح  
انه يقصد بقوله  
طبيعة أو عوارض  
ذاتية ما يسمى اليوم  
«قانوناً»

تصنيفه على أسس متنوعة منها «البيئة» إذ يصف الظاهرة تصنيفاً تطورياً يبين بدايتها ونشأتها وتطوراتها حتى الهرم ومنها «الوظيفة» إذ يبين مثلاً شرف الصنعة وحاجة الناس إليها وثمرتها. ولا شك أن اعتماده على التصنيف في العلوم الاجتماعية تصنيفاً تشريحياً ووظيفياً قد ساعده على تحليل الحوادث «بعلاها الذاتية» بدلا من البحث عن أسبابها البعيدة، وذلك ما جعله يفخر بسبقه المؤرخين والباحثين الاجتماعيين لا من حيث اكتشاف الموضوع وحسب بل من حيث الاهتمام بالطريقة البرهانية العقلية. وهو يعتقد أن التصنيف والتعليل وسيلة للتنبؤ ومعرفة المستقبل، فضلاً عن أنه تمحيص للماضي وتحقيق لأخباره.

#### ابن خلدون وركائز المعرفة الاجتماعية

مهد ابن للمفاهيم المعاصرة في علم الاجتماع وميادينه المتعددة، فقد بحث في البيئة، والاقتصاد، والسياسة، والحضر، وطرق كسب الرزق، والتجارة والصناعة، والنقود والأسعار. وعلم الاجتماع السياسي من أهم المواضيع التي تناولها إذ درس أسباب قيام الدولة ونشوتها، وإعمارها وأطوارها ونهاياتها متأثراً في ذلك بالحياة السياسية الاجتماعية والفكرية التي سادت القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد سبق ابن خلدون علماء الاجتماع جميعاً في وقوفه من الظواهر الاجتماعية موقف العالم الذي يبحث عن «الأجناس» و«الفصول» ويرد الحوادث الفردية إلى الأصول. وقد جاء في نقده لمن سبقه من المؤرخين الذين اكتفوا بنقل المعلومات كما وردت إليهم يجمعونها جمعاً من دون ترتيب أو تصنيف قوله: «فيجلبون الأخبار عن الدول، وحكايات الوقائع في العصور الأول، صوراً قد تجردت عن موادها، وصفاً انتقيت من أعمادها ومعارف تستنكر للجهل بطاريفها وتلاذها، إنما هي حوادث لم تعلم أصولها، وأنواع لم تحقق فصولها، ولا يعترضون لبدايتها، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايته، وأظهر آيتها، ولا علة الوقوف عند غايتها، فيبقى الناظر متطلعاً بعد إلى افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها، مفتشاً عن أسباب تزاحمها وتعاقبها، باحثاً عن المقنع في تباينها أو تناسبها».

يجلبون الأخبار عن الدول، وحكايات الوقائع في العصور الأول، صوراً قد تجردت عن موادها، وصفاً انتقيت من أعمادها ومعارف تستنكر للجهل بطاريفها وتلاذها، إنما هي حوادث لم تعلم أصولها، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها

إلى جانب تخصصه في الاجتماع والتاريخ نراه متمكناً من سائر أنواع العلوم والبحوث، إضافة إلى ما تتصف به مقدمته من غنى الألفاظ وعمقها ودقتها وابتكارها، بسبب ما فيها من فكر غنية وعميقة ودقيقة مبتكرة. وإن هذا الأسلوب الذي اتبعه في وضع آثاره أسلوب جديد يمتاز بالسهولة والوضوح والتخلص من قيود السجع ومحسنات البديع التي كان النثر العربي مكبلاً بها في ذلك العهد. ويبدو أن «سعة الشمول» في جميع المعلومات قد جاءت لابن خلدون من ثقافته الواسعة ومن تنقلاته الشخصية وطوافه في الشرق والغرب.



موسوعة الأعلام في العلوم النفسية: حرف الألف

---



---

إصدارات: مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2014



مؤسسة العلوم النفسية العربية  
تكريّم  
2023  
شبكة العلوم النفسية العربية  
الأستاذ الدكتور **عبد الرحمن إبراهيم**  
[استاذ الطب النفسي، سوريا]  
بلقيس  
**الكارو في علوم وطب النفس**  
بعد ان تشرف مجلس إدارة المؤسسة العربية للعلوم النفسية إسناده لقب:  
**شخصية العام العربية 2023**  
في علوم وطب النفس  
على هامش الأسبوع السنوي الثاني عشر لـ "شبكة العلوم النفسية العربية"  
[الأسبوع الأول - جانفي 2023]  
شبكة العلوم النفسية العربية  
د. جمال التركي  
رئيس مؤسسة العلوم النفسية العربية  
2023.01.01